

على هامش المؤتمر الثالث للمستعربين

الاستشراف في الإتحاد السوفياتي

لراسلنا في موسكو الأستاذ كيفورك ميناجيان

وقد نظم المؤتمر الثالث ، أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي ، وأكاديمية العلوم في جمهورية أرمينيا السوفيتية ، والجامعة الحكومية في يريفان .

وافتح المؤتمر في قاعة المؤتمرات التابعة لأكاديمية العلوم الأرمينية ، تس . اهايان الأكاديمي وأمين المجلس العلمي لقسم العلوم الاجتماعية في أكاديمية العلوم الأرمينية ، وكان من بين المشتركين في المؤتمر ممثلو علماء مختلف الأجيال الذين جاءوا للاشتراك في المؤتمر من أكبر مراكز الاستشراف والاستعراب في الاتحاد السوفيتي : موسكو ، ولينجراد ، وياكو وطشقند ، ودوشانبي ، وبيليسي ، ومعج قلعة ، وطبعاً من يريفان التي نظم ابتناؤها أعمال المؤتمر خير تنظيم ، واستقبلت أبناء مختلف الجمهوريات والمدن أحسن استقبال ، واستضافتهم أكرم ضيافة . وكان عدد المشتركين يربو على 130 شخصاً . وقد تليت في الجلسة الافتتاحية بركات التحية التي بعثت بها مختلف المؤسسات العلمية والدوائر الرسمية وجمعيات الصداقة العربية السوفيتية وغير ذلك . وألقى كلمة في الجلسة الافتتاحية يفجيني ليبيديف رئيس قسم البلدان العربية في معهد الدراسات الشرقية لأكاديمية العلوم السوفيتية والدكتور جريجوري شريباتوف الأستاذ في معهد اللغات الشرقية في موسكو . وتحدث يفجيني ليبيديف عن الدراسات العربية في التاريخ والاقتصاد ، خلال الفترة الواقعة بين المؤتمر الثاني والمؤتمر الثالث . وأشار إلى أن المستعربين السوفيتيين قد

أصبح من التقاليد التي تحظى باحترام خاص بين الأوساط العلمية ، وخاصة بين المشرقين والمستعربين ، انعقاد مؤتمرات المستعربين في الاتحاد السوفيتي ، الذي ينظم كل 3 - 4 سنوات . وهدف هذه المؤتمرات ، هو استعراض كل ما توصل إليه العلماء المستعربون من دراسات وكشوف وأبحاث ، وتبادل الخبرة والمعرفة في مجال الدراسات العربية من تاريخ واقتصاد وأدب ولغة وفنر ذلك . وقد أظهرت التجربة أنها مفيدة للغاية وتساعد على تنسيق الدراسات والبحوث والكشوف ، وهي حافز معنوي وعلمي لتطوير هذا الفرع من العلوم الاجتماعية الذي له مكانة خاصة . ويعود السبب إلى أن الاستعراب في الاتحاد السوفيتي علم مريق له جذور عميقة ومتشعبة في كل أرجاء الاتحاد السوفيتي ، كما لا ننسى العلاقات الأخوية التي تقوم بين شعوب الاتحاد السوفيتي وشعوب البلدان العربية ، تلك العلاقات التي تقوى وتصلد من سنة لأخرى بل من يوم لأخر . وكلما تعمقت وتوسعت العلاقات المذكورة ، زادت الحاجة إلى توسيع وتقوية هذا الفرع من العلوم .

وها نحن نقرا في الجرائد ونستمع إلى الإذاعات ، فنعلم أن المؤتمر الثالث للمستعربين في الاتحاد السوفيتي قد انعقد في الفترة الواقعة بين 23 و 28 يونيو عام 1969 في مدينة يريفان عاصمة جمهورية أرمينيا السوفيتية ، بقرار اتخذ في المؤتمر الثاني للمستعربين السوفيتيين الذي انعقد في مدينة تبليي عاصمة جورجيا السوفيتية .

قطموا شوطا كبيرا خلال هذه المدة القصيرة نسبيا فنشروا اكثر من الف مؤلف وبحث . اما الاستاذ جريجوري شرباتوف ، فقد تحدث في خطابه عن البحوث ، مجال اللغة العربية والادب ، التي قام بها العلماء السوفييتيون خلال نفس الفترة ، وآفاق الدراسات العربية وبعض مشاكلها ومهمتها في المستقبل .

وافتتحت الجلسة المسائية لليوم الاول ، بمحاضرة عامة ذات أهمية خاصة في موضوع « بعض نواحي النزاع العربي الاسرائيلي » القاها الدكتور ايجور بيلياف عضو هيئة تحرير صحيفة البرافدا . وقد حلل المحاضر كل مراحل الازمة في الشرق الاوسط ، واسباب نشوب الازمة ودوافعها ، ثم كشف القناع عن نوايا الامبريالية العالمية من وراء هذه الازمة ، وأورد اثباتات لا تحصى ، للنشاط المعادي للسلام والتحرر الوطني والقوى الديمقراطية والتيارات التقدمية ، الذي تقوم به اسرائيل . كما اثبت ان مصالح الولايات المتحدة وبريطانيا البترولية في منطقة الشرق العربي ، أصبحت مهددة وفي خطر جسيم ، وكيف ان الامبريالية العالمية ، تبنت هذه العملية المخالفة للعرف الدولي . كما اثبت ان العرب لم يخسروا حرب يونيو عام 1967 ، بل ان العمليات العربية توقفت على خط الجبهة بقرار مجلس الامن التابع لهيئة الامم المتحدة ، ولذلك يجب ان تحل هذه المسألة بوساطة هذه المنظمة العالمية . اما ما يخص مطالبة اسرائيل الباطلة « بالمفاوضات المباشرة » ، فهي مناوره دورية ، الغرض منها احباط الحل السلمي لازمة الشرق الاوسط . ووصل المحاضر الى نتيجة بديهية لا مفر منها ، وهي ان تنفذ اسرائيل قرارات هيئة الامم المتحدة .

وبعد ذلك ، انقسم المؤتمر الى فروع متخصصة: التاريخ ، الاقتصاد ، الادب ، اللغة ، اللغات السامية ، تاريخ العلوم والمواد المساعدة . وعين لكل فرع مجلس رئاسة ، ثم بدأت الفروع عملها في قاعات مختلفة بجامعة بريغان .

والقيت في فرع التاريخ محاضرات هامة لمشاهير العلماء السوفييت ، منها : محاضرة الاستاذ داترج « من تاريخ العلاقات السوفيتية المغربية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين » ومحاضرة الدكتورة ناتاليا خميليايا « الدولة الجزائرية للامير عبد القادر وتقديره من قبل علماء التاريخ

الفرنسيين » ، ومحاضرة الاستاذة ناتاليا لوسكابا « فلاديمير لينين من المغرب » ، ومحاضرة رئيس قسم البلدان العربية في معهد الدراسات الشرقية بفجيني ليبيديف « بعض وقائع أزمة زيادة عدد السكان في البلدان العربية » ، ومحاضرة بونداريفسكي « حركة التحرر في اليمن وسياسة انجلترا الكولونيالية في اواخر القرن 19 » ، ومحاضرة ديرمجرد بنشيان « مشكلة اللاجئين الفلسطينيين في هيئة الامم المتحدة » ومحاضرة سيرانيان « تكون الجبهة الوطنية في الجمهورية العربية المتحدة في عام 1946 » ، ومحاضرة منيشاشفيلي « حركة التحرر الوطني في العراق في اعوام 1900 - 1914 » ، وغير ذلك من المحاضرات المبددة .

كما استمع المشتركون في فرع الاقتصاد الى محاضرات شيقة تثير اهتمام المستمع من الناحية العلمية منها مثلا : محاضرة الدكتور روبين اندرياسيان « نضال بلدان الشرق العربي من اجل خلق اقتصاد بترولي مستقل » ، ومحاضرة فالينتين مياسنيكوف « تطور القطاع الحكومي في اقتصاد بعض الدول العربية التقدمية » ، ومحاضرة ارشاروني « بترول الصحراء واقتصاد بلدان شمال افريقيا » ، ومحاضرة شميليوف « التغيرات الاجتماعية والاقتصادية في جمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية » ، ومحاضرة ميلكوميان « مكان التعاونيات الزراعية في اقتصاد تونس المعاصرة » ، وغير ذلك .

وفي فرع الادب ، القيت محاضرات لفتت اهتمام المشتركين ، بسبب المستوى العالي للدراسات والتحليلات ، منها مثلا محاضرة شكرويف « حول المنهج الاساسي لرسالة الفخران لابي العلاء المعري » ، ومحاضرة يونسوف « الواقعية في مسرحيات توفيق الحكيم » ، ومحاضرة فاتييف « المشاكل الاجتماعية في القصص القصيرة بعد الحرب في الجمهورية العربية المتحدة » ، ومحاضرة ساكيان « محمد صالح بحر العلوم » ، ومحاضرة كيريتشينكو « الشعب وطبقة المثقفين في نتاج يوسف ادريس » ، ومحاضرة ايمانجولييفا « عن ظهور وتطور الادب العربي في اسبانيا » ، ومحاضرة دفوريانكوف « تأثير الاسلام واللغة العربية على الشعر الافغاني في القرون 8 - 12 » ، وغيرها الكثير من المحاضرات التي لا يسعنا المجال لذكرها .

اما فرع اللغة الذي اشترك فيه ، فسنستوقف عنده لنصف اعماله وصفا اوسع . كان عدد المشتركين

في هذا الفرع كبيرا ، يضم مشاهير العلماء في اللغة ، وكانت المحاضرات تبحث في مواضيع :

(أ) دراسة اللغة العربية الفصحى (النحو والصرف) .

(ب) دراسة تاريخ اللغة العربية ومقارنتها مع اللغات السامية الاخرى .

(ج) دراسة اللهجات العربية الحديثة .

(د) اساليب تدريس اللغة العربية لغير العرب في المعاهد السوفيتية .

(هـ) مسألة المصطلحات العلمية .

(و) دراسة المخطوطات العربية ، وغير ذلك من القضايا اللغوية . ونذكر من بين المحاضرات التي برزت في فرع اللغة : محاضرة الدكتور هراتش جابوتشيان « ازمة الفعل في اللغة العربية » ، وقد حلل المحاضر الصيغ المختلفة للفعل في اللغة العربية من حيث الزمن ، وحاول في بحثه ، مقارنة هذه الصيغ من حيث بنائها مع صيغ اللغات الهنداورية . وقد توصل الباحث الى ان تركيب « كان يكتب » ، عبارة عن وحدة نحوية (Syntactical unit) وليس وحدة صرفية (Morphological unit) كما كان يعتقد بعض علماء اللغة . والجدير بالذكر ان هذا الرأي ينطبق ورأي النحويين العرب في القرون الوسطى . ومحاضرة الدكتور فلاديمير بيلكين « مراحل تطور اللغة العربية الفصحى » وقد حلل المحاضر هذه المراحل من الناحية التاريخية ، وحاول ايجاد تصنيفات لكل مرحلة . ومحاضرة الاستاذ محمدوف من اليريبجان « تجربة تأليف كتب تدريس اللغة العربية للادريجانين » وقد عرض الاستاذ وجهة نظره وخبرته التي تراكمت مع مرور الزمن وقدم اقتراحات لتحسين اساليب تدريس اللغة العربية وتأليف كتب التدريس . ومحاضرة زاريني - زاده « مقارنة المعجم العربي الادريجاني مع المنجد الابجدي » ، حيث عرض وجهة نظره في مسائل النطق والترتيب الابجدي . ومحاضرة الدكتور سيد كاملوف « اللغة والتعليم في بلدان المغرب العربي » وقد اورد المحاضر وقائع هامة في هذا الموضوع من دراسة في المؤلفات المغربية ودراسته الخاصة خلال زيارته لهذه البلدان . ومحاضرة محمد المصتراني « الكلمات المودالية (Modal words) في اللهجة السورية » ، ويقصد المحاضر بالكلمات المودالية ، الالفاظ التي تعبر عن موقف المتكلم ، تجاه محتوى ما يقوله او درجة صحته وهي اول محاولة في دراسة هذه الكلمات المودالية ، ووظيفتها الخاصة ، وقدم تحليلا لها من وجهة نظر

العلوم اللغوية المعاصرة . ومحاضرة كيغورل ميناجيان « الالفاظ العربية الدخيلة في اللغة الروسية » حيث ابلت المحاضر تاريخيا ولغويا الطرق التي تسريت خلالها الالفاظ العربية الى اللغة الروسية ، لان الروس والعرب لم يحتكوا مع بعضهم البعض ولم تكن بينهم علاقات تذكر . بيد ان انتشار اللغة العربية في بلدان الشرق والغرب وتأثيرها على هذه اللغات كان عظيما لدرجة انها ، اي اللغات الوسيطة ، نقلتها الى اللغة الروسية . كما ان المؤلف اكتشف ان طابع الالفاظ يتوقف على الطرق التي دخلت منها وقسمها الى مجموعتين :

(أ) الفاظ علمية . (ب) الفاظ عامة .

واشار المحاضر الى دور الاسلام والحضارة العربية في هذه العملية . وكانت هناك محاضرات لا تقل اهمية عما ذكر ، ولكن الحديث من جميعها امر صعب ، وخاصة على صفحات مجلة .

كما عمل بنشاط فرع علم اللغات السامية ، وفرع تاريخ العلوم والمواد المساعدة ، حيث القيت محاضرات لا تقل اهميتها عما ذكرنا سالفا .

وفي اليوم الاخير من المؤتمر انعقدت الجلسة الختامية ، والتقى فيها كل رؤساء لجان الفروع تقريرا من الفرع المسؤول عنه ، مقدرين تقديرا عاليا ببرز المحاضرات ، والتي تستحق الذكر بصورة خاصة . وبعد ذلك القى محاضرة هامة الاستاذ الكسندر كوفاليوف مدير معهد اللغات الشرقية في موسكو ، ذكر فيها خبرة المعهد في اعداد الملاكات السوفيتية من مستعربين والمهام التي تقف امام المعهد ، والصعاب التي يجب ايجاد حل لها ، بسبب زيادة الحاجة الى الاختصاصيين ، لا سيما وان العلاقات تتسع باستمرار ، وهذا بدوره يحتاج الى قوى اكثر فاكثرا .

واختتم المؤتمر رئيس مجلس الرئاسة : فقدر اعمال المؤتمر خير تقدير : بصورة عامة ، وكل فرع من الفروع بصورة خاصة : وأشار الى ان مستويات البحوث لا شك انها مختلفة . ولكن مهما كان الامر ، فان كل محاضرة اسهمت بقسط جدير في اعمال المؤتمر بصورة خاصة : وتطوير الدراسات العربية في الاتحاد السوفيتي بصورة عامة . ثم اتخذ قرار بنشر هذه الابحاث في مجلدات خاصة ، ليستفيد منها كل المختصين والمهتمين ، كما اتخذ قرار بمقد المؤتمر الرابع في مدينة باكو عاصمة الازريجان السوفيتية . فالى اللقاء حتى المؤتمر الرابع للمستعربين في الاتحاد السوفيتي .